

أثر القصص المترجمة على مرجعية القيم الأخلاقية للطفل العربي
نماذج مختارة.

The impact of translated stories on the reference to moral values of the Arab child

Selected models.

د : بختي العبّاشي

جامعة الجبّالي بونعامّة، خميس مليانة

bakhtimsila@gmail.com

تاريخ النشر: آذار/مارس 2024

تاريخ القبول: 2024/01/12

تاريخ الإيداع: 2023/02/09

الملخص:

لا غرو أنّ القصة المترجمة إلى اللغة العربية تساهم بقوة في التحرر من التّصورات الضيقة التي تعتدّ بالهويات المغلقة على ذاتها، فهي تسعى إلى ترسيخ الانفتاح على الآخر، مما تتيح للمتلقي الصغير (الطفل) أن يتأمل في شروطه الحياتية والاجتماعية والثقافية، والتأثير فيه عقليا ووجدانيا من خلال الموضوعات المقترحة، كما أنّ لها أثرا سلبيا جليا على سيولة المعلومات والأفكار والمعارف والهويات والروابط الغير المنقحة على مرجعية القيم الأخلاقية التي يتشبع بها الطفل من خلال تنشئته الاجتماعية والدينية الأصيلة، لأنّ فكرة الغزو الثقافي المموّل من الغرب بصفة عامة يجبر ثقافات الشعوب الأخرى خاصة النامية منها، على التّخلي عن ثقافتهم وقيّمهم الأخلاقية بشكل مباشر وغير مباشر، لأنهم يرونهم عاجزين عن تمثيل أنفسهم، وأنهم في نظرهم يفقدون الشعور بالوعي الحضاري.

الكلمات الافتتاحية: الغزو الثقافي، القصص المترجمة، القيم ، المتلقي الصغير ، ثقافة الطفل.

Abstract:

There is no denying that the translated story contributes strongly to liberation from narrow perceptions that depend on closed identities on itself, as it seeks to establish openness to the other, which allows the recipient (the child) to reflect on his life and social conditions, and to influence him mentally and emotionally through the proposed topics, as well. It has a clear negative impact on the flow of information, ideas, knowledge, identities, ties and relationships, even the moral values that the

child is imbued with through his original social and religious upbringing, because the cultural invasion funded by the West forces the cultures of developing peoples to abandon their culture and moral values directly and indirectly, because they see him as incapable of representing himself, and in their view he loses the sense of civilized awareness, and this is what serves their personal interests, and we try in this intervention to answer the following problem.

Keywords: Cultural invasion, translated stories, values, young audience, child culture

1. مقدمة:

لا شك أنّ الدول الغربية التي تدعم فكرة الغزو الثقافي بكل ما تملك، فهي ترى نفسها أنها قطبا حضاريا مركزيا في هذا العالم، وعلى الدول النامية والمستضعفة أن تحتذي بها سياسيا واقتصاديا وثقافيا دون إبداء أي رأي، كما ترى نفسها أنها المخلص الوحيد من الوضعية المزرية التي تعيشها هذه الدول، لكن هدفها الخفي والأسى هو الهيمنة المطلقة على فكر الشعوب وثقافتهم، ولا ينكر أحد أنّ دول المركز استخدمت كل الأساليب والطرق لفرض هيمنتها وثقافتها سواء بالترغيب أم بالترهيب، وهذه الحالة أطلق عليه المفكر "هربرت تشيلر" بالهيمنة الثقافية والتي تقسم النظام العالمي إلى دول العظمى تنظر إلى نفسها على أنها قطب عالمي استراتيجي يسي نفسه مركز العالم، وفي الجهة المقابلة مصطلح الهامش الذي يمثل الدول المستضعفة والمقهورة، ويقصد بالهيمنة الثقافية "جماع العمليات التي تستخدم لإدخال مجتمع ما إلى النظام العالمي الحديث، أو كيف تتم استمالة الطبقة المهيمنة والضغط عليها وإجبارها كي تشكل المؤسسات الاجتماعية في اتساق مع قيم المركز في النظام العالمي أو الترويج لها"¹.

هذا النوع من الهيمنة من دول المركز على دول الهامش هو شكل من أشكال "الاستغلال الثقافي الذي تنامي مع التوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الفائتة"². فهو دائما يحاول إخضاع هؤلاء البشر إلى نمط تفكيرهم وأن يجزّدهم من إنسانيتهم ويخلع عنهم ثوب القيم المرجعية من سلوكياتهم وأن لا يدخر أي جهد من أجل أن يقضي على تقاليدهم وعاداتهم وتحطيم هويتهم وثقافتهم وإيديولوجيتهم وكل ما له صلة بتراثهم وأصالتهم، هذا النوع من التوسع الاستعماري الجديد يستهدف صراحة وضمنيا تحطيم مقومات الأمة الإسلامية العقدية والفكرية والثقافية والحضارية والتشكيك فيها والخط من مقوماتها وقيمتها بين الدول، وهذا النوع من التوسع يطلق عليه اليوم ما يسمى بمصطلح الغزو الثقافي. ومفهومه من منطلق إسلامي بأنه "كل فكرة، أو معلومة، أو برنامج، أو منهج، يستهدف صراحة أو ضمنا تحطيم مقومات الأمة الإسلامية العقدية والفكرية والثقافية والحضارية أو يتحرى التشكيك فيها والخط من قيمتها وتفضيل غيرها عليها وإحلال سواها محلها في الدستور أو مناهج التعليم أو برامج الإعلام والثقافة أو الأدب والفن أو النظرة الكلية للدين والإنسان والحياة"³. والدول الغربية لا تتوقف عند هذا الحد، بل تسعى بكل ما

أوتيت من قوة ، من أجل إخضاع دول العالم العربي والإسلامي خاصة إلى ثقافتها وحضارتها والطعن في هويتها ومقوماتها الإسلامية وكل ما يربطها بتاريخها، لأنها ترى أنها تشكل عليها خطراً على وجودها، والغرب منذ ظهوره وعبر تجارب طويلة من الزمن خلص أن العقيدة الإسلامية يجب اجتثاثها من جذورها من قلوب شبابهم ، والإسلام طبعاً يحذرنا من أنظمتهم الفاشية ومشارعهم الفكرية الهدامة ، وديننا الإسلامي لا يتسامح مطلقاً " أن يتلقى المسلم أصول عقيدته ولا مقومات تصوره ، ولا تفسير قرآنه وحديثه وسنة نبيه ، ولا منهج تاريخه وتفسير نشاطه، ولا مذهب مجتمعه ، ولا نظام حكمه ، ولا منهج سياسته ، ولا موحيات فنه وأدبه وتعبيره ... من مصادر غير إسلامية"4 ، وهذا ما يشير إلى عمق المشكلة فهي تريد أن تغير القيم المرجعية الأصيلة للمجتمعات واستبدالها بالقيم الغربية التي لا تؤمن إلا بالجانب المعرفي المادي وتهمل كل ماله صلة بثقافتهم وعقيدتهم النابعة من الفكر الإسلامي الأصيل. ومن خلال هذا المقام يمكن طرح الإشكالية الآتية التي نحن بصدد معالجتها :

- ما الأثر السلبي الذي تتركه القصص المترجمة إلى اللغة العربية على مرجعية القيم الأخلاقية للطفل العربي؟

وتتفرع هذه الإشكالية إلى تساؤلات فرعية نذكر منها مايلي:

- ما أهمية القصة بصفة عامة بالنسبة للطفل العربي ؟

- كيف يمكن معالجة بعض الآثار السلبية للقصص المترجمة على سلوك الطفل ؟

وللوصول إلى الإجابة عن هذه التساؤلات تم الاعتماد بشكل أساسي على المنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم بوصف ظاهرة تأثير القصص المترجمة على سلوك الطفل ، وهذا من خلال دراستنا لنماذج حية على بعض القصص.

2. القصة ودورها في تنشئة الطفل:

يُطلق على مفهوم القصة الأدبية بأنها "سرد لأحداث، لا يشترط فيه إتقان الحبكة، ولكنه ينسب إلى راوٍ، وأهميتها تنحصر في حكاية الأحداث، وإثارة اهتمام القارئ أو المستمع للكشف عن خبايا النفس، والبراعة في رسم الشخصيات"5 ، لذا أجمع أهل الأدب والنقد على أن القصص من أهم الأجناس الأدبية تأثيراً وإقناعاً؛ لأنها تعبر عن روح الأمم وكيانها وتتناول شؤون الإنسان في حياته ومجتمعه مستلهمة واقعه المعيش، والأفكار المتعلقة به ، أما من الناحية الفنية فهي "مثل المسرحية والقصيدة تعتمد على الاقتضاب والتركيز"6، وبهذا نجد أنها تتناول الموضوعات التي تتناولها الرواية وتجاربها النفسية والثقافية المتباينة ، بمعنى وجود قواسم مشتركة في كتابتهما، والقصة بالنسبة للطفل هي " الجنس الأدبي الوحيد القادر على الاستجابة لحاجات الطفل بما تملكه من سلاسة وعفوية في الطرح أحياناً فعنها تؤهل حواسه عن طريق الحكى إلى الإقبال عليها ، إذ هي الوسيلة المثلى التي تلعب دوراً فعالاً وتحقق أهدافاً ومضامين يسعى جميعنا إليها"7. يفهم من هذا الطرح أن الخطاب القصصي الموجه للطفل العربي ليس وسيلة تحمل صاحبها المتعة واللذة

التي تملأ جوانبه فحسب، بل يتعدي إلى غرس القيم والأخلاق والعادات والتقاليد ،التي تتجلى في المعاني المضمر المدفونة بين الكلمات، حتى يتنامى الوعي حول ذاته ومجتمعه.

أما بالنسبة بمواصفاتها الشكلية فهي تمتاز بلغة مفهومة سلسلة مدعومة في أغلب الأحيان بصور توضيحية أخاذة تأسر القارئ الصغير وتغريه فتجعله يطوي صفحات القصة صفحة صفحة، إضافة ما تعكسه العناوين الجذابة من التأثير والتي تعكس أيضا جهود مؤلفيها. كما لها شروط ومواصفات على الكاتب أن يتقيد بها ، من بينها أن تكون ملائمة لنموه العقلي والنفسي واللغوي، بل من الضروري أن تكون خالية من دعوة إلى العنف بكل أشكاله ، والابتعاد عن الموضوعات التي تدعو إلى الانحلال في القيم والأخلاق وصور البطش والتخويف والتشاؤم، لأنّ هذه الصفات شديدة الإيلاام لها أثر عميق في نفسية المتعلمين، وهذا النمط من القصص يختلف كلياً عن النصوص الموجهة للكبار التي يكثر فيها التلميح والتأويل، فكاتب القصة الموجهة للأطفال عليه أن يفرغ كل ما في جعبته ،إذ عليه اليقظة في التركيز، فكل عبارة في حوار القصة لها دورها ولها قيمتها8.التأثيرية بما فيها عنصر التشويق والإثارة والترفيه، كما تحمل أيضا لغة التربية والتعليم من تهذيب الأخلاق وحسن الأدب.

ومعلوم أن الأطفال يولدون على الفطرة صفحة بيضاء ، وهذا ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه" ولكن تتغير فطرتهم من خلال التنشئة الاجتماعية التي يمارسونها وفق محيطهم الأسري والاجتماعي، وهذا ما أخبرنا به سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾9، فالبيئة لها دور كبير في صقل شخصية الطفل، لما يحقق له الكمال البشري؛ لأنّها "تقود إلى تغيرات في داخل الإنسان (عبر الجهاز العصبي...) وبعض هذه التغيرات تؤثر في أفكار هذا الإنسان وأحاسيسه ورغباته...التي يمكن بالمقابل أن تثير وتوجه السلوك، وهذا السلوك بدوره له تأثير في البيئة وهكذا تعيد الدائرة نفسها مع أنّ هذا المفهوم يبدو مبسّطا للغاية إلا أنه يساعد على توضيح التأثير المتبادل المعقد الذي تتصف به هذه المتغيرات المؤثرة في تكيف الإنسان أو توافقه النفسي. فضلا على أنه يحاول أن يجمع الأساليب النظرية الثلاثة الأساسية (الحياتية ،النفسية ، البيئية) التي تشكل المنطلقات الأساسية في تحقيق أهداف علم النفس:تفسير السلوك والتنبؤ به والسيطرة عليه"10 وكل هذه العوامل المجتمعة تصقل شخصية الطفل إيجابا أو سلبا.

في المقابل تنشأ الشخصية السوية للطفل عندما يكون في بيئة اجتماعية سليمة ، لأن البيئة والأسرة هي الحلقة الأولى في تهذيب أخلاق الطفل وتغذيته بسلاح العلم والمعرفة، خاصة في ظل الغزو الثقافي الذي غزا العالم في جميع التخصصات نتيجة تطور العلوم والتكنولوجيا، فأصبح الطفل يعيش في عالم معقد شديد التشابك ،يفرض على المجتمع والأسرة خاصة الآباء أن يكونا واعين بما تدسّه القصص المترجمة من دسائس خبيثة تؤثر على قيمه الأخلاقية والاجتماعية، خاصة في ظل هذا التقدم الهائل في وسائل الاتصال والاختراعات الحديثة كالهواتف الذكية والشبكات والوسائط الرقمية ،وأصبح يطلق عليهم اليوم بالأطفال

الرقميين لنشأتهم في عصر المعلومة والوسائط الرقمية ، مما أدى إلى تعزيز التقارب الثقافي بين الشعوب، بل أصبحت المعلومة زمكانية، فهناك العديد من " التوجهات والأفكار تشير إليها الدراسات النوعية والمتخصصة التي تناولت دراسة هذا الجيل في العديد من دول العالم لكنها في المقابل تطرح المشكلات والتحديات التي تفرض نفسها على الواقع الاجتماعي له بدرجة أكبر وأكثر حدة مثل انهيار العلاقات الاجتماعية والأمراض النفسية خاصة الاكتئاب، والمنظومة القيمية الحاكمة وعلاقتها بإعلاء القيم المادية والنفعية والاستهلاكية"11. وهذا يلزم علينا مراقبة كل الوسائط التعليمية التي يجول فيها الطفل سواء كانت قصص مترجمة ورقية أم قصص الكترونية متحركة يشاهدها في هاتفه الذكي.

3. الترجمة القصصية وإشكالاتها:

يطلق مفهوم الترجمة بأنها نقل رسالة من لغة الأصل سواء كانت مكتوبة أم شفوية إلى لغة الهدف، مع مراعاة السياق والبيئة الثقافية والاجتماعية، والغاية المنشودة منها ، أما بالنسبة للملاحج الجوهرية التي تتسم بها الترجمة بصفة عامة فهي على ثلاثة ملامح:

الملمح الأول هو عملية اتصالية تواصلية، تهدف إلى فهم النص الذي يحمل لغة غير لغة الأم مع مراعاة السياق الاتصالي الذي يكمن وراءه النص، أما الملمح الثاني فهو عملية تتم بين النصوص وليس بين اللغات مع مراعاة مقتضى الحال والمعايير النصية (الانسجام ، والتماسك ، والإحالة وغيرها)، بل تضم أيضا العلاقات الخارجية المؤثرة (المكان ، الزمان ، الغاية من الترجمة ، وأهمية المتلقي) ، أما الملمح الأخير فإنّ ترجمة النصوص لا تقوم إلا وفق عملية عقلية معقدة ، تتمثل في فهم المعنى المراد من هذه النصوص حتى يتسنى للمترجم من صياغتها في لغة أخرى ، أخذاً بعين الاعتبار كل من المتلقي - وهو الطفل الصغير - والغاية التي يحذو إليها الكاتب المترجم. وقد نوّه جاكبسون(1959) إلى وجود ثلاثة أنواع من أنماط الترجمة وهي:

- الترجمة داخل اللغة نفسها ، أو ما يسمى بإعادة الصياغة، وهي نوع من تفسير الرموز اللغوية من خلال رموز أخرى من اللغة نفسها.

- الترجمة بين الرموز السيموطيقية، ويقصد بها ترجمة للرموز اللغوية من خلال رموز أخرى غير لغوية.

- الترجمة بين اللغات أو الترجمة بمعناها التقليدي، وهي تفسير النصوص اللغوية إلى لغة أخرى؛ وتدخل فيها القصص المترجمة للأطفال هذا النوع الأخير ينقسم إلى نوعين:

- هنالك نوع من القصص المترجمة للأطفال غرضها تجاري بحت وهو الأخطر؛ لأن المترجم لا يتقيد بميول الأطفال وحاجاتهم النفسية والأخلاقية والاجتماعية والتربوية ، بل يسعى إلى تحصيل المنفعة المادية على حساب قيم أبنائنا ، هذا النوع من الترجمة على المهتمين والأولياء التفطن إلى هذه الأفكار الهدامة .

أما النوع الثاني هي الترجمة المحترفة التي يضع المترجم كل اهتماماته بالنسق اللغوي وما يحمله من جماليات فنية، مع ضخ رسائل مباشرة وغير مباشرة عن القيم الأخلاقية والإنسانية والعقائدية التي ترسخ مبادئ قيم ديننا الحنيف ، كطاعة الوالدين وصلة الأرحام والاهتمام بأصحاب الهمم وغيرها. بمعنى أنّ

المترجم يهتم بالنص الذي يخدم شخصية الطفل وما يتوافق مع الرؤى الفكرية والعقائدية للمجتمع العربي المسلم . ومن هنا نخلص أنّ الترجمة صعبة المنال في الإمساك عن المعنى الحقيقي بين المصدر الأصلي والهدف المنشود لها، لذا لا بد من توفر شروط خاصة بالمترجم حتى يتسنى له الخوض في تجربة الترجمة نذكر منها ما يلي:

- الكفاءة اللغوية : ونقصد بها أن يكون المترجم متمكنا من اللغتين ، لغة الأم ولغة الهدف كشرط أساسي ومسبق للخوض في غمار الترجمة؛ لأن الكفاءة اللغوية يسهل عليه التعامل مع السياقات اللغوية المختلفة سواء كانت عامة أم متخصصة .

- أن يكون قد راجع ترجمات أنجزها آخرون من قبله؛ لأنّ "كل علم من العلوم له جهاز خاص من حيث الأسلوب والمصطلحات والأداء و، ونحو ذلك من اللوازم التي لا بدّ أن يكون المترجم ملما بها ومتمرسا عليها ، قبل أن يعالج ترجمة أي أثر من الآثار."12

4. نماذج عن أثر القصص المترجمة على القيم المرجعية والأخلاقية للطفل العربي :

لاشك أنّ القصص المترجمة لها دور كبير في ظل العولمة أو ما يسمى بالمجتمع ما بعد الحداثة، ونحن لا ننكر أن هذه القصص تحمل نصوصا متنوعة مؤطرة بالتحديدات الفلسفية والثقافية والدينية، وهذا من أجل تجديد الفكر والوعي والواقع الإنساني، كما تتمتع هذه النصوص بخاصيتي الإمتاع والإقناع فتجلب لنا من خلال المحسنات اللفظية والمعنوية من مجازات واستعارات وكنائيات تخلق لنا نوع من التوهم والإيهام من خلال اللغة وعناصر التخيل التي يتفنن المبدع القصصي في صناعتها، كما يتجلى انفتاحها على عوالم العلوم والإنسانية والاجتماعية والسياسية والدينية، وهذا ما يستعمله كاتب القصة في إيهام بواقعية الأحداث والنصوص والمكان والزمان.

ولكن في المقابل يمكن أن تكون القصص المترجمة سببا مباشرا وغير مباشر في التفكيك القيمي الأسري والمجتمعي، وهذا بسبب ولادة مفاهيم ودلالات غريبة عن هويتنا وعاداتنا وتقاليدينا وحتى عقيدتنا ، وهذا ما أقرّ به أصحاب الاختصاص في التربية بقولهم : "نحن هنا لا نصادر على عملية الترجمة لأننا لسنا ضد التواصل أو التطعيم الثقافي مع الآخرين...ولكن هذا التواصل يجب أن يكون على الاختيار الحسن لنصلح ما فسد من هذه القصص من فكر ونصح من انحرف فيها من خلق أو سلوك ونحولها فيما يتناسب من مثلونا وأفكارنا الإسلامية".13 ، بمعنى أنّ القصص المترجمة ليست كلها سلبية تدعو إلى الحيلة المبالغ فيها ، بل تتضمن إيجابيات من بينها الخيال الواسع الذي ينمي قدراتهم العقلية والذهنية ، كما يكتسب اللغة العميقة ، ومن النماذج السلبية للقصص المترجمة على شخصية الطفل العربي نذكر مايلي :

- ظاهرة العنف والإجرام : وهي ظاهرة من أخطر الظواهر المنتشرة والمتداولة في القصة المترجمة إلى اللغة العربية والأفلام المدبلجة الموجهة للأطفال، فهي تعمل على تمجيد ظاهرة العنف والإجرام كوسيلة أساسية لحل المشكلات الاجتماعية والعقبات النفسية التي يمر بها الطفل ، وهي تُعد في نظر الطفل العامل الأقوى في حسم مختلف المواقف ، وتُظهر أكثر القصص أحداث القتل والاعتداء والاعتصاب على القصر من الأطفال والتعدي على ممتلكاتهم، هذه السلوكيات السيئة يكتسبها الأطفال دون وعي فينجر عنها عقدة لغة الاعتداء والبطش في نفوس الأطفال فينفرهم المجتمع. وهذا ما نستخلصه من الشيفرات الثقافية المستوحاة من قصة "ليلي والذئب" الأصلية المقدمة للأطفال فهي مروعة ومفزعة للغاية ، إذ تجد أنها تقدم سلوكيات غريبة كالتهام الذئب للجددة ، تصل ليلي إلى بيت جدتها فيسقيها دم جدتها ولا يتوقف عند هذا الحد بل أطعمها لحمها، وعندما تنتبه ليلي إلى قطع صغيرة من العظم وهي في الواقع أسنان جدتها فتسأله ليلي عن تلك القطع فيجيبها الذئب بلغة المكر والخبث بأنها حبوب الفاصوليا. فلهذه القصة أبعاد دلالية عميقة ، فهي تحذر الأطفال من مغبة التعامل مع الغرباء بشكل عفوي ومن خطر المبالغة بالاهتمام بالآخرين فهذه السلوكيات تجلب الندم في الأخير . وعندما يدعوها هذا الأخير أن تدخل فراشه ، وتخلع ثيابها، فله دلالة مضمرة وهذا ما كشفه الكاتب "شارل بيرو" أن الذئب الأخطر ليس صورة الذئب المرسوم في خيالنا ، بل هم الشباب المارق الذين يستدرجون الأطفال والفتيات إلى الأماكن المنعزلة ليتعرضن إلى صور الاعتصاب تحت التهديد والوعيد، لكن الكاتب المترجم كامل الكيلاني قد قوّم بعض مجريات أحداث القصة وحذف كل ما يشوّه القيم والعادات والتقاليد المسيئة للفرد العربي ، واكتفى إلا بالإيجابيات التي تخدم موضوع القيم الأخلاقية والدينية التي تتوافق مع قيم الإسلام السمح ونجد ذلك، في قوله : "هل تذهبين يا ليلي إلى بيت جدتك ومعك سلة فيها نصيبها من كعكنا " ، هذه الترجمة ليست حرفية ، بل صاغ أفكار النص المترجم وفق ما تملّيه العادات والتقاليد العربية ، لأن العرب لا تهدي الزبدة أو المربى إلى الجدات ، بل من عاداتها أن تهدي وتكرم بما هو أحسن وأفضل كالكعك ، حتى يتسنى للطفل العربي الصغير الاقتداء بالوالدين في صفتي الكرم وصلة الأرحام ، وهذا مغاير تماما للنص الأصلي " porte _lui une galette et ce petit pot de beurre " .

- ظاهرة العنصرية: تتجسد لنا هذه الظاهرة في بعض القصص التي تثير العنصرية المقيتة واحتقار إنسانية الآخر والاستهانة به، وهذا ما نجده في القصص الغربية والأمريكية ، فنجد مثلا القصص الأمريكية التي تتحدث مباشرة حول إبادة الهنود الحمر بدم بارد . وكذلك ما يروج في قصص "طرزان" المشهورة والتي تعرض في شاشات العالم العربي والتي تؤكد فيها تفوق الرجل الأبيض العملاق وتفاهة سكان أمريكا الأصليين، ومن حق الرجل الأبيض العملاق أن يقتل ويعذب ويستعبد كما يشاء ، بل هو سلوك موازي يفعله بالحيوانات المتوحشة المتواجدة في البرية ، هذه السموم الثقافية التي تروّج لها بعض الأقلام المغرضة من الغرب هدفهم أن يصنعوا من وعي أطفال العالم أنّ العرب وأهل إفريقيا وسكان الأراضي المنخفضة أنّهم خُلِقوا ليكونوا تحت حكم الاستبداد والاستعباد، لهذا تعرضوا للتشتت والاضطهاد، والرحيل القسري من أوطانهم، وذلك لخدمة الإمبراطورية الامبريالية المزيفة. وهذا بشهادة تقرير اليونسكو "أن هذه القصص

تصوّر الزوج يسلكون سلوك الحيوانات ويبدو البيض دائما أرفع منهم وأسمى ، كما أن الشعور العنصري واضح فيها جدا".

- فكرة الشعوذة والسحر: ومن أخطر القصص المترجمة على أطفالنا التي تمس بالعقيدة الدينية، هي فكرة الشعوذة والسحر التي انتشرت في هذا العصر بصورة رهيبة، وسببها عدم تشبع أطفالنا بالعقيدة الدينية الصحيحة، والتأثر المباشر وغير المباشر بالثقافات الغربية المسمومة عن طريق ما يتلقاه الطفل من وسائل الاتصال المختلفة وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي التي يظهر تأثيرها جليا على سلوك أبنائنا ، ونأخذ مثالا عن ذلك قصة "بياض الثلج" وحكايات أخرى للكاتب الفرنسي "الكساندر دوما" ، والذي قام بترجمتها عن الفرنسية "محمد بن عبود" وهي من أكثر القصص شهرة لدى الأطفال. تحكي هذه القصة عن استعمال السحر من طرف بعض شخصيات القصة، قول المترجم " كانت لهذه الملكة الجديدة مرآة سحرية، تقف أمامها كل يوم محدقةً بها، وتسألها: يا مرآتي يا مرآتي، أخبريني، من هي أجمل امرأة في الدنيا؟ وكانت تأتي الإجابة من المرأة دائما: أنت الأجمل بين النساء على الإطلاق".¹⁴ هذه الإيقونة الفوتوغرافية من إيجابياتها أنها تقوم بتنمية التخيل لدى الطفل، لكن في نفس الوقت قد تجعل الطفل يفكر في استخدام السحر والشعوذة عند حدوث المشكلات ؛ بمعنى تتكون للطفل فكرة خاطئة عن فكرة السحر والشعوذة وهذا طبعا ينافي ويتعارض مع ديننا الحنيف، ونستند دائما لقول الله تعالى ﴿وَلَا يَفْلَحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى﴾

- فكرة تعاطي المخدرات والتدخين: . وهناك بعض القصص تدعو إلى طريق الانحراف، ونأخذ مثالا في قصة "سجين زندا" ، تحكي هذه القصة عن شاب إنجليزي يدعى "رودلف راسنديل" يتصف بالثراء والنشاط والحماسة، غير أنه لا يحب العمل ويقضي "معظم أوقاته في الشراب" ، وهذا السلوك يؤثر سلبا على شخصية أطفالنا ، لأنه سلوك ذميم ومحرم ويتنافى مع أخلاق الدين الإسلامي ، حيث يأمرنا بالابتعاد عن كل المحرمات لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، والمخدرات تلتقي مع شرب الخمر في علة التحريم وهي الإسكار وذهاب العقل ، ونجد سلوك آخر منا في لقيمنا في موضع آخر من القصة "رجل شجاع باسل يدخل طول الوقت"، هذا القول يجمع صفتي الشجاعة وهي صفة إيجابية ، وصفة التدخين الذي أجمع فيه الفقهاء أنه محرم ، لأنه مضر بالصحة ، ولا شك في أن هذا السلوك يؤثر سلبا على الطفل، ويحاول الطفل من خلاله تقمص شخصية البطل أمام أقرانه من الأطفال . إضافة إلى عقوقه لوالديه التي نهى عنها الشارع في عدة آيات نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾¹⁵.

5. الخاتمة:

إنّ زحف العولمة بكل أشكالها السياسية والثقافية والاجتماعية، والتّطور التكنولوجي الهائل الحاصل في وقتنا الحاضر، جعل القارئ أو المتلقي سواء كان كبيراً أم صغيراً لا يملك وقتاً طويلاً للمطالعة، وعليه يلجأ هذا الأخير إلى الاهتمام بالقصة وبالقصّة القصيرة، وهذا ما يؤكده توفيق الحكيم بقوله "أدب المستقبل لن يتحمل الإسهاب، وقارئ اليوم والغد تكفيه اللمحة الخاطفة لإدراك الصورة الكامنة وتكاد تغنيه الإشارة عن الإطناب في العبارة" 16، وقد تبين لنا من خلال هذه الورقة البحثية لموضوع أثر القصص المترجمة على مرجعية القيم الأخلاقية للطفل العربي في ظل مجتمع ما بعد الحداثة، أنّ التفكيك الأسري والقيمي والمجتمعي ناتج بعضه عن السموم الثقافية والأخلاقية الدخيلة عن أصالة مجتمعنا العربي من خلال القصص المترجمة إلى اللغة العربية، ونلخص بعض السلبات والتوصيات التي سقناها من النماذج السابقة في النقاط الآتية:

- 1- العمل على تدريب الأطفال لمواجهة المشكلات الاجتماعية والمدرسية عن طريق الاحتكام إلى سلطة العقل ولغة الحوار البناء بعيداً عن تمجيد العنف بكل أشكاله سواء الجسدية أم المعنوية في حسم المواقف.
- 2- مراقبة القصص المترجمة إلى اللغة العربية بما يخدم المضمون التربوي والتعليمي ومرجعياته الأخلاقية الأصيلة بعيداً عن العقد ومركبات النقص والسلوك العدواني.
- 3 - تزويد الطفل بالقصص المترجمة التي تنشر العدل والمساواة بين أفراد الإنسانية ، والابتعاد عن إلغاء الآخر.
- 4- إعادة النظر في دبلجة القصص الالكترونية الغربية بما يخدم ثقافة الطفل العربي وقيمه الأخلاقية والإيديولوجية التي تتوافق مع الدين الإسلامي .

هوامش وإحالات المقال

- ¹ هيربرت شيلر:الاتصالات والهيمنة الثقافية، تر، وجيه سمعان ،القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 2007، ص 21.
- ² بيل اشكروفت ،جاريث جريفيث وهيلين تيفين ،دراسات ما بعد الكولونيالية ،تر، أحمد الروبي أيمن حلى،عاطف عثمان ،2010، ط1، ص15 .
- ³ محمد سيد محمد: الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة ،ط1، 1994، ص16.
- ⁴ عبد الله بن صالح بن سلمان الوشي، جهود أبي الحسن الندوي النقدية في الأدب الإسلامي، مكتبة الرشد ناشرون، ط2005، ص175.
- ⁵ مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ص 289 .
- ⁶ توفيق الحكيم: مدرسة المغفلين ،مقدمة، مكتبة مصر الفجالة، مصر، (د ت)، ص4.
- ⁷ ميلود قيديم:القصة وعلاقتها بعقل الطفل، مجلة العلوم الإنسانية ،عدد خاص ، فاعليات ملتقى أدب الطفل، منشورات المركز الجامعي سوق أهراس، ديسمبر 2003، ص104.
- ⁸ لطفي فام: المسرح الفرنسي المعاصر، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، (د ط)، 1998، ص46.
- ⁹ سورة النحل : الآية 78.
- ¹⁰ قاسم حسين صالح: الاضطرابات النفسية والعقلية، نظرياتها ،أسبابها، طرائق علاجها، (2015)، ط1، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، ص47
- ¹¹ أيمن السيد عبد الوهاب :افتتاحية العدد جيل z المصري من مجلة أحوال مصرية الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، العدد 78، 2020، ص08.
- ¹² محمد عوض محمد: فن الترجمة، قسم البحوث والدراسات الأدبية التابع لمعهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية 1969، ص18-19، نقلا عن محمد السيد علي بلاسي، مجلة علوم اللسان وتكنولوجيااته، ع2005، ص102.
- ¹³ محمد سعيد المولوي: الكتابة للأطفال لماذا؟ كتيب المجلة العربية ، ع17، ص28.
- ¹⁴ ألكسندر دوما: بياض الثلج وحكايات أخرى، تر، محمد بن عيود، الهدد للنشر والتوزيع ،دمشق، ط1، 2013، ص97-98.
- ¹⁵ سورة الإسراء: الآية 23.
- ¹⁶ توفيق الحكيم :مدرسة المغفلين ، ص47.

7.المصادر والمراجع

- 1 بيل اشكروفت ،جاريث جريفيث وهيلين تيفين ،(2010)، دراسات ما بعد الكولونيالية، تر، أحمد الروبي أيمن حلى،عاطف عثمان، ط 1 .
- 2- محمد سيد محمد، (1994)، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة ،ط1.
- 3- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان.
- 4- ميلود قيديم، (2003)، القصة وعلاقتها بعقل الطفل، مجلة العلوم الإنسانية ،عدد خاص ، فاعليات ملتقى أدب الطفل، منشورات المركز الجامعي سوق أهراس.
- 5- لطفي فام، (1998)، المسرح الفرنسي المعاصر، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية
- 6- قاسم حسين صالح، (2015)، الاضطرابات النفسية والعقلية، نظرياتها ،أسبابها، طرائق علاجها، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1.
- 7- أيمن السيد عبد الوهاب، (2020)، افتتاحية العدد جيل z المصري من مجلة أحوال مصرية الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، العدد 78.
- 8- محمد عوض محمد، (2005)، فن الترجمة، قسم البحوث والدراسات الأدبية التابع لمعهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية 1969، ص18-19، نقلا عن محمد السيد علي بلاسي، مجلة علوم اللسان وتكنولوجيااته، ع1.
- 9- هيربرت شيلر:الاتصالات والهيمنة الثقافية، تر، وجيه سمعان ،القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 2007، ص21